القيم الجمالية فى خزف جراجوس كنموذج لتنمية المشروعات الصغيرة

Aesthetic values in the studio ceramics of Garagus as a model for Small Projects development

أ. م. د/ ضياءالدين عبدالدايم عمر داود
استاذ مساعد دكتور بقسم الخزف - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان
Assist. Prof. Dr. Diaa Eldin Daoud
Assistant Professor at Faculty of Applied Art - Helwan University - Ceramic Department
diaadaoud@yahoo.com

الملخص:

تعد تجربة خزف جراجوس من التجارب الهامة والمؤثرة فى خزف الاستديو، وكنموذج ناجح للمشروعات متنهية الصغر، والتى نرصد من خلال منتجاتها القيم الجمالية الخزفية وعلاقتها مع الفن القبطى والاسلامى والفن الشعبى من ناحية وخزف الاستديو المعاصر بافكاره الغير تقليدية.

ونجد ان تقنية الحز والكشط فى البطانة البيضاء من اهم التقنيات التى ترتبط بالفن الاسلامى وبالرغم من بساطة هذه التقنية الا انها تحمل داخلها العديد من القيم الجمالية المرتبطة بحيوية التصميم وفطرية الاداء، وهى احدى السمات الهامة فى خزف الاستديو والخزف اليدوى، فالمنتجات تحمل موضوعات ترتبط اما بالتراث القديم او العادات والطقوس الشعبية او البيئة المعبرة عن المكان وتختلط مع جماليات الفن القبطى والاسلامى، فهى عناصر متشابكة تتجمع فى اخراج العمل الفنى او القطعة الخزفية اليدوية التى تحمل بصمة معبرة عن التراث فى صورة متجددة .

فمازالت الحرفة تندرج تحت الفنون الشعبية أو الصناعات الثقافية والتي يعد مصدرها الأول التراث وحياة المجتمع وتقاليده بأساليب قد تبدو بدائية غير متأثرة بالتكنولوجيا الحديثة التي طغت على الخزف الصناعي، ولكن تحمل هذه المنتجات أحاسيس روحية تظهر حقيقة الفن الصادق المرتبط بشخصية الحرفي والبيئة التي نشأ فيها.

ويتميز الفن القبطي بعدة خصائص لعل أهمها أنه فن عفوي تلقائي، نشأ فى ظروف صعبة شهدت قهرا للأقباط اضطهادهم من جانب الرومان، كما أنه فن ريفي نشأ فى أجواء الإضطهاد، وقد عكست الرسوم أشخاصا عاديين وحيواناتهم الأليفة التي تملأ كل بيت، ويتميز الفن الإسلامى القديم سواء من ناحية التقنية أو قواعد التصميم البسيطة ذات الحس الفنى المستخدم فى إخراج الأعمال الخزفية للموضوعات المرسومة سواء النباتية أو الحيوانية أو للأشخاص فهى مستلهمة من القواعد الفنية الأسلامية القديمة وموضوعاتها التعبيرية ،وما يميز الخزف البدائي والشعبي ارتباطه بالطقوس والتقاليد والعادات المتوارثة والتي تظهر حقيقةً غائبة أن هذه الأعمال الفنية البسيطة تتميز بقيم فنية عالية حيث ان هذة الاعمال تمثل عادات وتقاليد المجتمع الذي نشأ فيه وتظهر حقائق عفوية وفطرية في التشكيل والتوافق بين اختيار الألوان والشكل الذي يتناسب معها .

الكلمات المفتاحية:

خزف جراجوس , الصناعات الثاقفية ، الصناعت الصغيره .

Abstract:

The experiment of the ceramics of Garagus is important and effective in the studio, and a successful model for microenterprises, which we observe through its products the aesthetic ceramic values and its relationship with the Coptic, Islamic and folk art on one hand and with

contemporary studio ceramics with its unconventional ideas on another hand. we find that the sgrafitto technique on the white slip is one of the most important techniques that are related to the Islamic art, and despite of its simplicity it holds within it many of the aesthetic values associated with the vitality of the design and the innate performance and it is one of the important features of studio and handmade ceramics, products are carrying topics related either to heritage or the old habits and folk rituals or mouthpiece environment and mixing with the aesthetics of Coptic, Islamic art as they are intertwined elements accumulate to output the artwork or ceramic piece which is carrying an expressive fingerprint of heritage in renewable image.

The craft still falls under the folk arts or cultural industries, whose primary source is the heritage, the life of society and its traditions, in ways that may seem primitive and unaffected by modern technology that has dominated industrial ceramics, but these products carry spiritual feelings that show the truth of honest art linked to the character of the craftsman and the environment in which he was raised.

Coptic art is characterized by several characteristics, perhaps the most important of which is that it is spontaneous art. It arose in difficult circumstances that witnessed the oppression of Copts by the Romans. It is also a rural art that arose in an atmosphere of persecution, and the drawings reflected ordinary people and their pets that existed in every home. In terms of technology or simple design rules with an artistic sense used in producing ceramic works for painted subjects, plant, animal, people, they are inspired by ancient Islamic artistic rules and their expressive themes, what distinguishes primitive and popular ceramics is its connection to the inherited rituals, traditions and customs that appear absent in fact that these works Simple artistry is characterized by high artistic values as these works represent the customs and traditions of the society in which he grew up and show spontaneous, innate facts in the formation, the compatibility between the choice of colors and the shape that suits them.

Kaywords:

ceramics of Garagus , Cultural industries ،Small Projects.

مقدمة البحث :

لم يكن غريب انتشار مراكز الفخار في مصر بأماكن عديدة حفلت بالعديد بالأشكال ذات الأحجام المختلفة والتي تتنوع اعتمادا على طبيعة المكان الذي انتشر فيه مما أعطى كل مركز من هذه المراكز الحرفية طابعها الخاص سواء من ناحية الخامات البيئية, أو نوعية المنتجات أو أسلوب التشكيل المستخدم, بل وحسب أسلوب الحريق ونوعية الفرن المستخدم، مما أعطى لكل مركز من هذه المراكز منتجات تحمل قيم تعبيرية تمثل فكره بحيوية متميزة, من خلال استغلال وسائل انتاج بسيطة ولكن برؤية عميقة تمثل استمرارية الحرفة وبتلقائية تؤكد على تكيف هذه الامكانيات المحدودة بما يتوافر لديها من خامات وسبل الاستفادة منها.

فمازالت الحرفة تندرج تحت الفنون الشعبية أو الصناعات الثقافية والتي يعد مصدرها الأول التراث وحياة المجتمع وتقاليده بأساليب قد تبدو بدائية غير متأثرة بالتكنولوجيا الحديثة التي طغت على الخزف الصناعي، ولكن تحمل هذه المنتجات أحاسيس روحية تظهر حقيقة الفن الصادق المرتبط بشخصية الحرفي والبيئة التي نشأ فيها.

واليوم أصبح مسمى الصناعات الثقافية واقع والتي تمثل تحويل شكل المادة الخام وجعلها ملائمة لاحتياجات الإنسان، وتعتبر الثقافة والأفكار الثقافية المختلفة وكذلك التراثية المادة الخام التي يحدث لها عملية تحويل وإعادة صياغة وإنتاج منتجات متنوعة.

حيث أن الثقافة تشكل سلوك حياة الناس ومنبع التقدم وروح التنمية والتطور للمجتمعات, فلكل مجتمع ثقافة تميزه عن بقية المجتمعات وكذلك اختلاف فئة عن غيرها, ولكل ثقافة هوية تجعلنا نشعر بالانتماء والتي تتشكل عن طريق التعليم والخبرة ووعي الأفراد, كما أنها تساعد الإنسان علي معرفة الثقافات والتعاملات المختلفة، وهي من المفاهيم التي لا يمكن أن نجد لها تعريف محدد شامل ولكنها من المفاهيم التي تشتمل علي اتجاهات عدة.

والسمة الأساسية في مراكز الخزف والفخار الشعبي هي تعاون أفراد الأسرة كلهم في عملية الإنتاج، لأنها عملية متوارثة، وتنتقل الحرفة من جيل إلى آخر بما يحمله من تقاليد وخبرة عملية مستمدة من التجارب العديدة، وهي الرصيد الحقيقي للفن الشعبي أو الحرفة الشعبية، ويظهر ذلك واضحاً في حرفة الفخار من خلال منظومة العمل والتي تسند لكل فرد من أفراد الأسرة مهمة تنفيذ خطوة معينة من خطوات الإنتاج، بدءً من تحضير الطينة وتجهيزها، والتشكيل، التجفيف، والزخارف، والتلوين، ثم ما يتبع ذلك من حريق، والذي يأخذ حيزاً كبيرا من الاهتمام، والتي من خلالها تظهر القدرات الفنية والخبرات العملية في إخراج المنتجات.

لذا حينما ننظر إلى المراكز الحرفية التى تتمتع بخصوصية فى المكان والانتاج بمصر نجدها تنتشر في أماكن كثيرة على سبيل المثال وليس الحصر مصر القديمة, أشمون جريس، وما تنتجه من أواني ذات طابع خاص وهو الفخار الأِسود، ومراكز الفخار المنتشرة ب قنا، وهي متعددة مثل قنا نفسها والترامسا وحجازة قبلي، وجراجوس، والتي تختلف منتجاتها من منطقة إلى أخرى، وهو ما دفع البحث إلى اختيار خزف جراجوس كمنطقة دراسة للتعرف على الأساليب المستخدمة في التشكيل وطرق حرق منتجاتها واستخراج معاني عديدة و قيم جمالية قد لا تكون ظاهرة في بداية الأمر، ولكن نحاول من خلال هذه القيم الجمالية الوصول إلي ما وراء هذه المنتجات والتي تمثل ترجمة حقيقية للصناعات الثقافية والتى ترتكز على خلفية نابعة من التراث والبيئة والعادات الشعبية، والتي من خلال هذه الدراسة نصل إلي اسباب و مقومات نجاحها والتي تسهم فى استمرارية الحرفة و تنميتها كنموذج للمشروعات الصغيرة و توافقها مع متطلبات البيت المصري، لذا نجد ضرورة وجود مفهوم المشاريع يالصغيرة فى تنمية وتطور الجانب الاقتصادى للدولة فهى تمثل منبع للافكار البسيطة والتى ممكن ان تتحول فى مرحلة لاحقة الى مشروعات كبيرة وتسهم بطاقة انتاجية عالية فى الناتج القومى .

والمفهوم الجديد الذى طرأ على حرفة الخزف أو خزف الاستديو يعود إلى البحث عن روافد جديدة للإبداع بدءاً من التمرد على أساليب الإنتاج البدائية والبحث عن وسائل أخرى للتشكيل قد يظهر فيها استخدام التكنولوجيا الحديثة والتى تساعد على سهولة التنفيذ وجودة الإنتاج،ولكنها لا تقلل من قيمة القطعة الخزفية والتى تحمل بصمة فنية مميزة تعود إلى صانعها وتحمل جرأة وقوة تعبيرية صريحة تقترب من القطعة الفنية الخالصة.

وهذه الرؤية الجديدة لمفهوم خزف الاستديو ادت إلي ارتقاء الذوق العام لمفهوم الجمال وهو معيار هام فى الأشياء الوظيفية ، كما أن منتج خزف الاستديو يتفاعل مع البيت العصرى داخلياً وخارجياً مما يؤكد على ارتباطه المستمر عاطفياً لمتذوقى هذه المنتجات ويرجع ذلك إلى مادة الخزف الطبيعية والتى تحمل داخلها مواصفات حسية بالحنين إلى الطبيعة والتى تساعد على تقليل أثر التكنولوجيا الحديثة وطغيانها فى حياتنا اليومية، فهذه العاطفة المتبادلة بين الخزف الوظيفى والمكان يضفى حيوية وجمال منسجم بين طبيعة الخزف والبيت المعاصر.

مشكلة البحث :

يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال التالي :

الى أي مدى يمكن أن تؤثر القيم الجمالية المتعددة لخزف قرية جراجوس بقنا فى المنتج الخزفى المعبر عن الهوية المصرية ؟

هل ظهور الهوية المصرية فى المنتج الخزفى من العوامل الاساسية التى تساعد على تنمية وتطوير المنتج المرتبط بالتراث أو المفهوم الجديد فى الصناعات الثقافية ؟

أهدف البحث :

التوصل إلى دراسة تساعد على تنمية و تطوير الصناعات الثقافية بمنتجات تلبي احتياجاتنا اليومية المتجددة و تتوافق مع البيت المعاصر.

التأكيد على اهمية الاستلهام من التراث الفنى القبطى والاسلامى والشعبى فى منتجات خزف الاستديو بجراجوس والذى يعد احدى الحلول العملية فى استمرارية الحرفة اليدوية وتنميتها .

أهمية البحث :

الاستفادة من أساليب الإنتاج المتعددة والبسيطة للوصول إلي منتج خزفى ذو مواصفات جمالية وجودة عالية تلبي احتيجات البيت المصرى .

أهمية القيم الجمالية المرتبطة بالتراث فى اظهار هوية المنتج الخزفى المصرى وهى احدى الاهداف الهامة للوصول بها إلي مصطلح الصناعات الثقافية الابداعية ذات العائد الاقتصادي .

منهج البحث :

منهج البحث يعتمد على الدراسة التحليلية الجمالية لخزف قرية جراجوس وارتباطه بالتراث القبطى والاسلامى والشعبي .

خزف الاستديو ومراكز الإنتاج

فى بحثنا عن المناطق والمراكز الفنية والتى تعد ترجمة صريحة للمعنى المرادف في الصناعات الثقافية لخزف الاستديو نجد مركز الخزف بالفسطاط ، وقرية تونس بالفيوم، وخزف جراجوس بقنا ومركز الخزف بمدينة الخارجة بمحافظة الوادى الجديد، وغيرها من الأماكن والاستديوهات الفنية الاخرى،مما أعطى لكل مركز من هذه المراكز منتجات تحمل قيم تعبيرية تمثل فكره بحيوية متميزة, ومن خلال استغلال خاماته البسيطة, ولكن برؤية عميقة تمثل استمرارية الحرفة وبتلقائية تؤكد على تكيف الحرفة لمتطلبات التغير والتطوير، وهو ما يدفعنا إلى تنمية هذه المراكز والاستديوهات الفنية من خلال إيجاد نقاط اتصال بينها وحوار يهدف إلى تنمية وتطوير المنتج بما يتلائم ويتناسب مع البيئة المصرية أو الهوية وأصالتها.

تعد تجربة خزف جراجوس بمحافظة قنا من اهم المراكز الفنية المرتبطة بخزف الاستوديو والسمة الأساسية التي تظهر في منتجاتهم الخزفية هي بساطة خطوات التنفيذ واعتمادهم على الخامات الطبيعية المحلية المتوفرة في مناطق تصنيعها، وجماعية الأداء والذي يشارك فيه مجموعة من العائلات الأسرية وتوزيع مهام العمل داخل الأسرة الواحدة، حيث أن طبيعة حرفة الخزف تعتمد على جماعية الأداء.

ويمكننا رؤية صدى الاصول القديمة للفن القبطي والاسلامى والتى تتواجد بصورة واضحة و مباشرة في اعمالهم الحرفية وتمتزج مع مؤثرات حياتهم الشعبية داخل البيئة الريفية، وهنا يظهر كيفية تطويعها وتوافقها مع الموارد البيئية المختلفة في الحفاظ علي هذا التواصل الخفي، ليس فقط من التشابه فى النواحى الفنية والتصميمية بل ايضا التقنيات التاريخية المتعددة

والبسيطة، وهو يؤكد على قوة العلاقة الإنسانية التي تستمر من منابعها التاريخية وتظل لها وجود حتى يومنا و لكن برؤية جديدة لا تحاكى او تقليد مباشر للتراث .

خزف جراجوس نموذج للمشروعات الصغيرة وارتباطه بالصناعات الثقافية.

تعريف الصناعات الثقافية هي عبارة عن تحويل النشاط الفكري الثقافي والإبداعي إلي أعمال وخدمات ومنتجات إبداعية تساهم في التنمية ورفع مستوي الدخل القومي, فيمكن القول بأنها خُلاصة النشاط الفكري والثقافي الذي نتج عنه أعمال وخدمات ثقافية وإبداعية تسهم في نشر ثقافة المجتمع مرات أخري أو بمعني أخر القدرة علي إنتاج الأعمال الفنية مرة أخري حيث تكون قيمتها في محتواها الفكري والثقافي, كما أنها تساهم في إنتاج الأفكار الإبداعية والتكنولوجية.

فالتراث لا يعتبر مخزون ثقافي فقط يمكن العودة إليه حسب احتياجاتنا ولكنه يعتبر صناعة متجددة ترتبط بالتحول والتطور المستمر التي تعيشه حياة البشر والذي يمكن اعتباره بأنه القاعدة التي من خلالها نصل إلي استمرارية وجوده ولكن بصورة مستقبلية، وتعرفه اليونسكو بأنه يعتبر الميراث الماضي الذي نتمتع به في حاضرنا وننقله إلي الأجيال القادمة, كما أنها تعتبر التراث الثقافي هو ما نرثه من المقتنيات المادية وغير المادية لمجتمع له موروثات من الأجيال السابقة والتي تظل باقية حتى الوقت الحاضر وتستمر للأجيال القادمة، فهو يمثل مجموعة من القيم والمعتقدات والآداب والفنون كما تشمل جميع الأنشطة المادية والمعنوية للإنسان الناتجة عن الخبرات المتراكمة للمجتمع.

وحينما نطبق هذا المفهوم على الحرف اليدوية نجدها متمثلة منذ نشأة الإنسان لقيامها بسد احتياجاته اليومية علي مر العصور، فهي أحد فروع الصناعات الثقافية والإبداعية التي ترتبط بالمهارات والكفاءات اليدوية التي تعتمد علي إبداع ومهارة القائم بتلك الأعمال الإبداعية التي يتم إنتاجها, والتي تسهم في الهدف من تشجيع هذه الصناعات من إحياء للمقوم التراثي الثقافي والإبداعي والذي من خلاله إسهامها في العائد الاقتصادي الذي يحقق النمو المستدام.

كما أنها نابعة عن ارتباطنا بعاداتنا وسلوكنا وأساليب معيشتنا والتي تعكس الجانب الثقافي،ويظهر ارتباط الحرف بالتراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي, فارتباطه بالشق المادي نراه من خلال الأثار الموجودة في المتاحف علي مر العصور والحضارات, وارتباطها بالشق اللامادي يظهر فيما نتوارثه من الأساليب والممارسات التقليدية التي تمت بمختلف العصور لتساعدنا في تعلم الحرف، وهي من أهم علامات إبداع الشعوب ومن مصادر تشكيل التراث وأحد المقومات التي تحافظ علي الهوية المحلية .

فالحرفة تبدأ من الإبداع الفردي الذي يتحول إلي إنتاج يتم محاكاته من مجموعة بشكل مستمر وتعتمد في إنتاجها علي حرفيين، ويمكن القول بأنها فنون تعتمد علي المهارة اليدوية والتي ينتج عنها منتج وأعمالاً إبداعية تبرز هذه المهارة التشكيلية المتميزة، ومن خلالها يتم الحصول علي منتجات ذات طابع بيئي حرفي باستخدام أدوات بسيطة.

ويعد خزف جراجوس بمحافظة قنا نموذجا استرشاديا لتنمية الصناعات الثقافية الابداعية المتعلقة بخزف الاستديو والتى تهدف الى تعليم قواعد حرفة الخزف إلى ابناء المنطقة وامتلاك مهارة التشكيل اليدوي المتعددة والرسم والزخارف والنحت، وكلها تخرج من أصول مرتبطة بالفن القبطي والاسلامى وحيوية وفطرية الاداء الشعبى وتسويق هذه المنتجات الخزفية محليا وخارجيا،والتي تتوافق مع مفهوم الصناعات الثقافية المرتبطة بالتراث والاستفادة منه اقتصاديا، لأن الصناعات الإبداعية هي عملية تحويل للإبداع الفردي القائم علي المعرفة إلي أعمال إبداعية لها تاريخ يساهم في خلق وظائف وفرص عمل بما يحقق رفعة للاقتصاد، إضافة إلي إسهامه في عملية التنمية المستدامة التى لا تتوقف على الاستلهام من التراث فقط بل تحويله إلي نقطة انطلاق فى صورة تتماشي مع حياتنا المتغيرة والمعاصرة

منتجات خزف جراجوس:

منتجات جراجوس تتوافق مع مفهوم الصناعات الثقافية فى تلبية الاحتياجات اليومية من وراء خلفية تراثية، وهو ناتج من التنوع الهائل في أشكال منتجاتها واستخدامتها، والتي تشمل (أدوات المائدة) كالأطباق متعددة الشكل والحجم والسلاطين والبولات فى أشكال ومقاسات مختلفة منها المستدير والمربع والمثلث، وأطقم الشاي والقهوة وكوبيات الماء والمشروبات الساخنة والاباريق بأحجامها المختلفة وحاويات الطعام (الطواجن) والأواني ووحدات الأضاءة كأبليك الأضاءة (المعلق- الجانبي- الأرضي) والمنحوتات المجسمة والبلاطات والمعلقات والمباخر و اونى الزرع .

هذا التنوع الهائل في الأنتاج يتعدد معه طرق وأساليب الأنتاج ولذا نجد اختلاف المنتج وطريقة تنفيذه من خلال محاور رئيسية لطرق التشكيل اليدوية المختلفة (حفر- تفريغ- نحت) طريقة التشكيل على الدولاب (عجلة الخزاف) طرق التشكيل باستخدام القوالب الجبسية (الكبس- الصب) طرق معالجة السطح الخزفي (الرسم والزخرفة) طرق تطبيق الطلاء الزجاجي الملون وتقنيات الحريق (الأختزال).

هذه هي المحاور الأساسية لمنتجات جراجوس من الناحية الانتاجية وعلى الجانب الاخر للناحية التصميمة نجد انها خرجت من بيئة طبيعية ريفية وثقافته والتى تمس المعتقدات القبطية والشعبية من خلال الموضوعات الاجتماعية او القصص الدينية القبطية او استخدام الرموز الشعبية والاسطورية مثل (الاسد- السمكة – الزهرة – سعف النخيل) ونجد أيضا بعض الأعمال تخرج منها روح الفن الإسلامى القديم سواء من ناحية قواعد التصميم أو الحس الفنى المستخدم فى إخراج الأعمال الخزفية ، فمن حيث الناحية الفنية للتقنية نجد إستخدام أسلوب الحز والكشط فى الطلاء الزجاجى الابيض الغير مستوى والذى يعطى لون غامق فى حالة كشف طبقة الطلاء الزجاجى من على جسم الطينة الحمراء .

لذا تعد منتجات جراجوس نموذج يحمل داخلها هوية وثقافات متعددة قبطية واسلامية وشعبية اصيلة سماتها تظهر في بساطة التعبير وفطرية الأداء الفني، وفي نفس الوقت هذا لا يغفل أهمية استخدامهم الادوات والمعدات الحديثة والتقنيات المتعددة المصاحبة للمنتج فهي بمثابة دم جديد يساهم في استمرارية وتنوع المنتجات و بجودة عالية، والذي يعد رسالة يحمل ملامح البيئة المصرية في صورة منتج استخدامي شكل (١) .

شكل (١) نماذج من منتجات خزف جراجوس لاداوات المائدة و طقم ابريق الشاي والفنجان

خزف جراجوس والفن القبطي

مصنع جراجوس للخزف يعد من المشاريع الحقيقية ذو تاريخ وبصمة واضحة في الخزف اليدوي ويرتبط بالتراث الشعبي المحمل بالإداء الفطري وعفوية التعبير النابع من صدق الأداء، فالمصنع أقيم على فكرة خدمة المنتج الكنسي بأداء فطرى، حيث أن أغلب الأعمال تعبر بزخارفها وروحها عن حياة الفرد القبطى البسيط بمعتقداته وعاداته اليومية والممزوجة بالعناصر المختلفة من البيئة القروية المحيطة به.

ويرجع ذلك لان الفن القبطي نبع من الحياة اليومية بكل مافيها من بساطة وعفوية، وتميز بأنه فن شعبي وليس فنا ملكيا أو امبراطوريا، ويعتبرالفن القبطى إمتدادا للفن المصرى القديم رغم وجوداختلافات عديدة فيما بينهما، إلاأن الفن القبطى قد تأثر– بشكل كبير- بما أبدعه المصرى القديم على جدران المعابد.

ويتميزهذا الفن بعدة خصائص لعل أهمها أنه فن عفوي تلقائي، نشأ فى ظروف صعبة شهدت قهرا للأقباط اضطهادهم من جانب الرومان، كما أنه فن ريفي نشأ فى أجواء الإضطهاد، وقد عكست الرسوم أشخاصا عاديين وحيواناتهم الأليفة التي تملأ كل بيت، ومناظر تمثل الحياة الريفية والشعبية البسيطة، كما تميز بأنه يعتمد على الارتجال والبعد عن التخصص الفني، لأن الرهبان الذين كانوا يشرفون عليه لم تكن لهم دراية فنية وكانوا يرسمون في جو مشحون بالقلق بعيداً عن الطمأنينة وتسوده حالة الإضطهاد الدينى.

وابتعد عن محاكاة الطبيعة وتقليدها، لذا نحن أمام فن إتجه نحو الرمز والنظر داخل النفس بحثاً عن القيم الروحية لذلك اهتم بالروح والجوهر أكثر من الشكل والمظهر، ولايوجد أى تجسيم أو إبراز للبعد الثالث للعناصرالمرسومة شكل (٢).

شكل (٢) نماذج من الفن القبطي الجداري والخزفي يمثل موضوعات مستمدة من الديانة المسحية

والفخار القبطى ترك لنا العديد من أشكال الأواني الفخارية على اختلاف أنواعها وأحجامها فقد امتازت بدقة الصناعة وجودة صقلها ونعومة سطوحها وزهاء ألوان طينتها الحمراء وبها أحيانا الزخارف والرسومات التي تشغل اسطح أشكالها، ومن تلك الرسوم ما يمثل رموزا أو مناظر دينية أو أشكال الحيوانات الخرافية أو المستأنسة أو بأنواع الطيور المختلفة كالبط والحمام أو البجع أو الطاووس أو بمناظر الأسماك أو بأفرع الكرم أو الزيتون أو رسوم هندسية أو صلبان أو بأشكال آدمية قد تمثل بعض القديسين أو الرهبان بالاضافة إلي المسارج الصغيرة و التى نقش على معظمها رموز ونصوص قبطية بازرة، والقارورات الصغيرة والتي كانت تستخدم في حفظ أنواع العطور والدهون وغير ذلك من أنواع السوائل الأخرى شكل (٣).

لذا لم يكن غريبا وجود منتجات جراجوس مستوحاه من الفن القبطي القديم ترتبط مباشرة بالطقوس الدينية المسيحية او ان تظهر رسومات لها علاقة مباشرة بالفن القبطي كالسمكة و ماتحمله من معاني كثيرة رمزية، او يكون للفخار القبطي القديم وجود حتى يومنا هذا من المسارج او زمزمية الحجاج ولكن من خلال اعادة صياغة هذه الرموز والمعانى التى خرج منها

وذلك من خلال تنوع وسائل الانتاج او الزخارف أواستخدام بالتة لونية للطلاءات الزجاجية الملونة مختلفة لها خصوصية مثل درجات الازرق البترولى او الاخضر الزرعى شكل (٤).

شكل (٣) الرموز القديمة المعبرة عن الديانة المسحية كالسمكة والصلبان و زمزمية الحجاج

شكل (٤) منتجات خزف جراجوس المرتبطة بالديانة المسحية من صلبان ومعلقات دينية

خزف جراجوس والفن الاسلامي

للوهلة الأولى نجد أن أغلبية الأعمال تخرج منها روح الفن الإسلامى القديم سواء من ناحية التقنية أو قواعد التصميم البسيطة ذات الحس الفنى المستخدم فى إخراج الأعمال الخزفية للموضوعات المرسومة سواء النباتية أو الحيوانية أو للأشخاص فهى مستلهمة من القواعد الفنية الأسلامية القديمة وموضوعاتها التعبيرية من مناظر آدمية تمثل بعض الفتيات الراقصات أو الحفلات الموسيقية المرحة والشراب أو أشكال الحيوان والطير في حركات وأوضاع متغيرة، وكان انتشارها بصفة خاصة في العصر الفاطمي او محاكاة للرنوك في العصر المملوكي برسم كؤوس أو صلبان أو سيوف أو اسماك واستخدام الخط العربي بكتاباته الكوفية والقديمة، وعلي الجانب الاخر انتشر استخدام الزخارف الهندسية والنباتية والتي تبحث عن التجريد والتلخيص مع استخدام الوحدات الزخرفية التكرارية كنسق تصميمى ناتج من مفهوم الاستمرارية والايقاع المتغير فى انتشارها علي السطح الخزفى شكل (٥) .

اما من حيث الناحية الفنية للتقنية نجد إستخدام أسلوب الحز والكشط فى الطلاء الزجاجى الابيض النى والذى يعطى خطوط غامقة فى حالة كشف طبقة الطلاء الزجاجى من على جسم الطينة الحمراء، ونجد أن هذا الأسلوب مستخدم بحيوية فى الزخرفة المستخدمة علي الاطباق او ادوات المائدة فى منتجات جراجوس، وهو نفس الأسلوب الإسلامى القديم "الفاطمى "ونجد أن أكثر الأكاسيد استخداماً فى التلوين أكسيد النحاسيك الاسود (درجات الاخضر) وأكسيد الكوبالت او كربونات

الكوبالت (درجات الازرق)، و يستخدموا ايضا الأكاسيد المعدنية الاخري والصبغات الملونة المخلوطة بالماء للرسم مباشرة بها فوق الطلاء الزجاجى الابيض ثم تغطى بطبقة أخرى من الطلاء الزجاجى الشفاف، بالاضافة الى الرسم تحت الطلاء الزجاجى الشفافمن خلال الرسم مباشرة فوق الجسم الفخارى الاحمر بالاكاسيد والصبغات الملونة وبعد الانتهاء يتم استخدام الرش لتطبيق الطلاء الزجاجى الشفاف.

شكل (٥) نماذج من الفن الاسلامي القديم لتقنية الحز والكشط في الطلاء الزجاجي والبطانة البيضاء

ومن الاساليب الاخرى والتى ترجع الى التقنيات القديمة الاسلاميةكأسلوب الحز والكشط فى البطانة البيضاء وهو احدى الحلول العملية للتغلب على نوعية الطينة الحمراء والتى توجد بها نسبة عالية من الشوائب وخاصة اكسيد الحديد والذى يعطى لون احمر غامق وبالتالى تصبح ارضية الجسم غير صالحة للتلوين او الرسم لذا لجأ الفنان المسلم قديما الى تغطية الجسم الاحمر ببطانة بيضاء فى بحثه عن محكاة لنوعية الطينة البيضاء والتى نفتقر وجودها بمنطقة الشرق الاوسط ولكنها متاحة فى منطقة الشرق الاقصى (اليابان – كوريا – الصين) ، لذا نجد ان البحث عن محاكاة الطينة البيضاء السبب الرئيسى فى ظهور تقنية تغطية الجسم الاحمر بطبقة من البطانة البيضاءللحصول على سطح أبيض صالح للرسم، ويضاف اليها اسلوب الحز والكشط فى البطانة والتى تكشف لون الجسم الاحمر بلون غامق يوضح التصميم المرسوم معتمدا على درجة لون البطانة البيضاء ولون الجسم الاصلى الاحمر الغامق من على جسم الطينة الحمرا، ونجد أن هذا الأسلوب بقرية جراجوس مستخدم قى اغلبية اعمالهم وبحيوية وارتجالية دون أى تنظيم أو محاولة أن تكون الخطوط حادة مثل خطوط الرسم الهندسى بل يتم ذلك بعفوية مقصودة والتى تعبر عن سرعة الأداء الواعى لهذا الأسلوب، وسرعة الاداء تتوقف على نوعية التصميم ومن الافضل سرعة الاداء لنحصل على عفوية الخطوط لكى نكسر حدية الخطوط المنتظمة المستخدمة فى الحز .

ونجد ان اغلبية العناصر التى استخدمت فى الرسم على السطح هى عناصر مستوحاه من البيئة مثل النباتات او الحيوانات او الطيور او رصد للعادات والاحتفالات الشعبية والطقوس الدينية شكل (٦)، ونجد انه تعامل مع العنصر المرسوم كوحدة تصميمية تشغل فراغ الدائرة (الطبق) مع مراعات نسبة حجم العنصر داخل الدائرة واستخدام اسس التصميم (التكرار – السالب والموجب – التصغير والتكبير) . والتكرار الدخلي المستخدم يقع على شبكة هندسية قد لا تظهر بوضوح و ظاهر للعين،ولكن نجد استخدام الفنان المسلم للتقسيم الداخلي للشبكة عنصر اساسى وهام فى حالة التكرار الثنائى او الثلاثى او الرباعى والخماسى او السداسى، فالتقسيم احدى اهم خطوات توزيع العناصر داخل اطار الدائرة ومن خلال استخدام عناصر الوحدة وتكرارها على الشبكة الداخلية للدائرة، مع استخدام التصغير والتكبير أوالسالب والموجب للوحدة وذلك لكسر رتابة

تكرار الوحدة المستخدمة فى الرسم، واسلوب التطبيق لهذا الاسلوب بالرغم يبدو انه هندسى وحاد ولكن ارتجالية التطبيق ورسم العنصر بسرعة مما يظهر عفوية الاداء وهى احدى القيم الجمالية فى منتجات جراجوس.

شكل (٦) نماذج من منتجات خزف جراجوس لتقنية الحز والكشط في الطلاء الزجاجي الملون وبها موضوعات متعلقة بالحياة اليومية البسيطة

خزف جراجوس والفن الشعبي

صناعة الفخار في مصر من أهم الصناعات الحرفية، لما يتميز به الفخار المصري من تاريخ عريق وما يتميز به أشكال الفخار المصري من تنوعات في الطرز وتعدد الأنماط والقيم الجمالية في الأشكال، وخصوصيته في زخارفه، بالإضافة إلى استخداماته المتعددة في الحياة اليومية للإنسان المصري البسيط, سواء كانت نفعية لما لها من خصائص معينة في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية مثل قلة أو إبريق "السبوع"أو أواني الطعام "الطواجن"وغيرها, حيث شكل الفخار جزءاً مرتبطاً بالتقاليد والطقوس المصرية المصاحبة لهذه الاحتفالات أو المناسبات.

إن ما يميز الخزف البدائي والشعبي ارتباطه بالطقوس والتقاليد والعادات المتوارثة والتي تظهر حقيقةً غائبة أن هذه الأعمال الفنية البسيطة تتميز بقيم فنية عالية، بالرغم من بدائية الصنع وأساليب الإنتاج المستخدمة في التنفيذ حيث أن هذه الأعمال تمثل عادات وتقاليد المجتمع الذي نشأ فيه وتظهر حقائق عفوية وفطرية في التشكيل والتوافق بين اختيار الألوان والشكل الذي يتناسب معها

وبالرغم من أن هذه الفنون التصقت بكلمة "الشعبية"و"البدائية"وهي ناتجة من رخص المواد المستخدمة في التصنيع وبساطة خطوات التنفيذ فإن ذلك لا يقلل أبداً من احتياج هذا الإنتاج إلى ثقافة وعلماً ودرايةً ويتطلب خبرة لا تقل في مستواها عن الخزف المنتج بأدوات حديثة فكلاهما يتطلب عقلاً فنياً وذوقاً، بل إن النوع الشعبي يتطلب جهداً مضاعفاً، لأن هذا الفن خرج من العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية، وهو ما يؤكد على أن الفن الشعبي يتطلب خبرات متكاملة لينشأ نشأةً سليمة ليؤدي أغراضه في الحياة لأنها فنون مصدرها التراث وحياة المجتمع وتقاليده.

شكل (٧) نماذج من منتجات خزف جراجوس مستوحاه من خزف الفخار الشعبي وزخارفة من الاهلة والمثلثات ومفتاح الحياة من الفن المصري القديم

الفن الشعبي متأصل في أنشطة المجتمع ويؤكد على الأبعاد الاجتماعية التي لها تأثير في صياغة الوحدة التشكيلية التي تتوافق مع الظاهرة الشعبية في مدلولها وقيمتها الإنسانية، فالفنون الشعبية بدون أبعاد اجتماعية ليس لها خصوصية وضرب من الإنتاج الحرفي فقط، وهو ما يؤكد أهمية البعد الاجتماعي والعوامل البيئية بالإضافة إلى البعد التاريخي الموروث.

ومما يميز العمل الفني الشعبي أو أي عمل فني نابع من العادات والتقاليد الشعبية هو مظهره الاستثنائي في الشكل والزخرفة، وهو ما يُعرف العمل على أنه جميل ويمتلك بعض السمات المظهرية لشيءٍ ما على أنها المحفز لهذه الاستجابة العاطفية التي يحدثها الجمال، ومن هذه المبادئ الجمالية (التماثل والوحدة والانسجام والإيقاع والتكرار والتوازن)، إذ يمكن لهذه العناصر مجتمعة أو لكلٍ منها على حدة أن تكوِّن أنماطًا منظمة من تركيبات مألوفة، إذا ما أراد الفنان الشعبي ترتيب المكونات الأساسية للعمل الفني عناصر هيكله الأساسي، فإنه يعمل بنفس القوانين التي يطبقها على عمله مع المكونات غير الأساسية كالزخرفة وبهذا يحول المبدع الشيء العادي في الحياة اليومية إلى عمل فني عبر استخدام ماهر مبتكر للمواد، وإضافة زخرفة مفعمة بالخيال إلى السطح باستخدام سمات جمالية غير نفعية وبراعة في الشكل والتصميم.

والمنتجات التى خرجت من جراجوس لايظهر فيها سوى الموضوعات ذات معرفة ولها علاقة بعاداته وتقاليده و تتجاوب مع إحتياجات المجتمع الذى يعيش فيه، واستخدامه للزخرفة والرسم يمثل واقعا عقليا أكثر مما يمثل واقعا بصريا، وتعريفه للأمور بواسطة الرسم كبديل للكلام، وهو يوضح فى صورة واحدة مجموعة مشاهد كأنما يحكى قصة، وأغلبية الرسوم لا تعترف بقواعد المنظورالهندسي فى التصوير شكل (٧) .

القيم الجمالية فى تقنيات خزف جراجوس

استخدامهم الاسلوب القديم فى اضافة الالوان اما تطبيق الطلاء الشفاف بدون وجود اكسيد ملون او مع تطبيق الطلاء الشفاف الملون فوق الحز والكشط وهو يعطى نتيجة جيدة من وجود اللون الواحد بدرجتين فاللون او الدرجة الفاتحة تظهرعلى البطانة البيضاء بينما الدرجة الغامقة على ارضية لون الجسم الاحمر و التباين فى اللون يضفى حيوية على التلوين بالرغم من استخدامه لون واحد فى تطبيق الطلاء الزجاجي وفى منتجات جراجوس نجد اتباع نفس النمط الاسلامى القديم للحز والكشط فى البطانة البيضاء مع تطبيق الطلاء الزجاجى الشفاف العادي والملون .

وفي حالة الرسم باستخدام الاكاسيد والصبغات الملونة نجد اختياره الاكاسيد التي تعطي تأثيرات لونية، وخاصة اكسيد النحاس الاسود فى الحصول على اللون الاخضر بدرجاته المتعددة عن طريق التحكم فى نسبة اضافة الماء اليه او فى كثافة اللون الناتج من الضغط القوى على الفرشاه، ويضاف الى ذلك خاصية لاكسيد النحاس فى انتشاره بعيد عن الخط المرسوم عكس بقية الاكاسيد الملونة اوالصبغات والتى لا تتنشر بل تظل ثابتة فى المساحة المرسومة. بالاضافة الى سرعة الاداء أثناء استخدام الفرشاه، واللون ليس شرط ان يظل داخل حدود المساحة المراد تلوينها بل من المكن ان يخرج عن حدودها او تقل المساحة لتصل الى ضربة فرشاه للمساحة الملونة، لان الغرض من التلوين ليس ملئ مساحات لونية للتصميم بل يشغل المساحة فقط .

ويرجع استخدام درجات الاخضر والازرق بكثرة لانهما من الدرجات اللونية التى تنسجم مع الارضية او الخلفية للون الجسم الاحمر الغامق عند ظهوره من كشط البطانة البيضاء، بالاضافة الى لون البطانة البيضاء الضارب الى الاصفرار، كما يظهر اثر البيئة الريفية و اللون الاخضر المنتشر بها كلون له حضور في منتجاتهم شكل (٨).

واعتقد ان احد اسباب نجاح تجربة خزف جراجوس يكمن فى هذه التقنية والتى تبدو انها بسيطة ومحدودة النتائج ولكن هو اعتقاد غير صحيح لان التدريب على امكانيات هذه التقنية يفتح العديد من الحلول التصميمية والجمالية وهو مايؤكد ان تعلم الخزف ليس بمعرفة العديد من الاساليب والتقنيات الخزفية بل اتقان احدها والتدريب المستمر والذى يقودك الى بقية التقنيات الاخرى لان بداية التجربة الفنية بجراجوس بدأت بتلك التقنية ثم بتقنية الاختزال داخل الفرن (البريق المعدنى) ثم وصولا الى تقنية (الطلاءات الزجاجية الشفافة والملونة).

شكل (٨) نماذج متعددة من منتجات خزف جراجوس للمجسمات والاواني وادوات المائدة وتظهر فيها استخدامهم تقنية الحز في الطلاء الزجاجي والرسم بالاكاسيد الصباغات الملونة على الطلاء الزجاجي

من خلال ماسبق نجد ان تقنية الحز والكشط فى البطانة البيضاء و الطلاء الزجاجي الني من اهمالتقنيات التى ترتبط بالتراث الاسلامى وتحمل داخلها العديد من القيم الجمالية المرتبطة بحيوية التصميم وفطرية الاداء، وهى احدى السمات الهامة فى خزف الاستديو، فالبحث عن الصدق فى الاداء يخرج من موضوعات لها علاقة اما بالتراث القديم او العادات والطقوس الشعبية او البيئة المعبرة عن المكان، كلها عناصر متشابكة تتجمع فى اخراج العمل الفنى او القطعة الخزقية اليدوية .

ولا نستطيع اغفال اهمية الخبرة الفنية والممارسة المستمرة للتجارب الفنية سواء من ناحية التطبيق العملى (التشكيل اليدوى – المهارات اليدوية فى الرسم – البالتة اللونية المستخدمه – التقنية الفنية للحريق) فهى كلها ايضا عوامل مؤثرة فى القطعة الخزفية اليدوية .

والطابع التعليمي المميز لخزف جراجوس اعطاء الفرصة لكل متعلم داخل المصنع باظهار الجانب الفردى والابتكارى من خلال اختياره لاسلوب التنفيذ او عناصره المستخدمه فى الرسم او الوحدة الزخرفية او حتى اشكاله او القطع النحتية البسيطة وكل هذه العناصر او الموضوعات مستمدة من البيئة الريفية المحيطة وماتحمله من مفردات غنية كالزرع والنخيل والزهور والحيوانات والطيور اضافة الى الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية كلها مفردات وعناصر لموضوعات تصب فى

زخرفة اسطح منتجات الخزف الاستخدامى والذى يحمل صبغة شعبية وفطرية وتعبر عن تجربة فنية عميقة تمتد جذورها الى اصول التراث.

النتـــائـج والتوصيات :

1- تجربة خزف قرية جراجوس من التجارب الهامة والمؤثرة فى الخزف اليدوى او خزف الاستديو والتى تعد نموذج للصناعات الثقافية والمشروعات الصغيرة وهي احدى الوسائل الفعالة والضرورية لتنمية الدخل القومى من خلال الاهتمام بمشاكل المشروعات الصغيرة واهمها رعاية وتسويق المنتج داخليا وخارجيا من الممكن تكراره فى اماكن اخرى.

2- انتشار التجربة الفنية لجماليات خزف قرية جراجوس تسهم فى انتشار خزف الاستديو والذى يحمل مواصفات المنتج الاستخدامى وبقيمة جمالية ويحمل الهوية المصرية من البيئة الريفية لقرية جراجوس، وفي نفس الوقت تلبى احتياجات المجتمع من الخزف اليدوى .

3- الاستلهام من التراث الفنى القبطي والاسلامى والشعبى فى منتجات خزف الاستديو والذى يعد احدى الحلول العملية فى استمرارية الحرفة اليدوية وتنميتها وانتشارها .

4- الحرف التراثية والتصميم يقعا تحت عملية مترابطة حيث يساهم فيها استخدام العملية التصميمية المعتمدة علي الإبداع والمهارة والكفاءة في إحياء أساليب أحد الحرف التراثية (حرفة الفخار) التي توشك علي الاندثار والمساهمة في نشر الثقافة النابعة من خلالها وتحقيق عائد حيث أن الثقافة والاقتصاد حلقات مترابطة ارتباطاً وثيقاً نسعى من خلالها لتحقيق تنمية مستدامة معتمدة علي الإبداع القائم علي التراث، أي يساهم من خلال الاستلهام من روح التراث والقيام بعمليات إبداعية تصميمية للأفكار المختلفة والخروج منها بنتائج تسهم في الحفاظ علي الموروث في صورته الإبداعية وكذلك تحقيق عائد اقتصادي.

المراجع

1. ايمان مهران، : خزف جراجوس ، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،2002
E manM : ,uhranunK hazfJ , irajusM aktabatA lainjiluA,lmasriatAlqahrt,2002
2. رءوف حبيب : الفخار و أهميته حتى العصر القبطي والاسلامي ،مكتبة المحبة ، القاهرة .
Raouf Habib : Alfakhar W Ahamiyatah Hataa Aleasr Alqubtii W Aliislamii ,Maktabat Almahabat , Alqahira .
3. شاكر عبد الحميد: العملية الابداعية فى فن التصوير: سلسلة عالم المعارف، العدد 109، الكويت ، 1987
S hakirA bdA :lhmydA leamaliatElaibdaeiat fy fin A :ltaswirS ilsilatE alamA ,lmaearifi A ,leadad 109Alkuayt , 1987
4. عبير محمد عباس : الصناعات الثقافية و الاقتصاد الابداعى، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، 2018
Eubayr Muhamad Eabbas : Alsinaeat Althaqafiat Walaiqtisad Alabdaea, Majalat Kuliyat Aladab Jamieat Alqahirat , 2018
5. عماد بدر الدين : نحو صناعة ثقافية عربية قومية ،بحث ، القاهرة 2002
Eimad Badr Aldiyn : Nahw Sinaeat Thaqafiat Earabiat Qawmiat ,Bahath , Alqahrt 2002
6. محمود ابراهيم حسين: الخزف الاسلامي في مصر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤.
M ahmudE brahimH :usynA lkhazfA l'iislamiF iM ,israM aktabatN ahdatA lsharaqAlqahirat, .1984
7. ضياء الدين عبدالدايم عمر داود: القيم الجمالية فى خزف الاستديو (لقرية تونس) وارتباطها بمصر، مجلة العمارة والفنون ، العدد الثالث 2016
Diaa Aldein Abd Alddayim Omar Daoud:Alqiam Aljamaliat Fy Khazf Al'iistudiu (Lqariat Tuns) W Airtibatuha Bimisr, Majalat Aleamarat W Alfunun , Aleadad Alththalith 2016